القيادات وكماشة المعركة

بعد سقوط النبعة ، والتل البطل ، دخلت الحرب الاهلية اللبنانية ، مأزقا جديدا وضع قادة الحركة الوطنية ، بين قبضتي القوى الفاشية وقوى الغزو والاحتلال السورية من جهة ، وضغط الجماهير الشعبية ومقاتليها الابطال الذين يقدمون دماءهم ثمنا باهظا لهذه الحرب منذ اكثر من ستة عشر شهرا من جهة اخرى .

جبهة الكفور تزيد مناوراتها من خلال الرسالة التي وجهها فرنجية بمناسبة ذكرى انتخابه والتهديدات التي يوجهها الجميل وشمعون نفسه تطلق فيه جبهة الكفور ، مناوراتها السياسية هذه بغيةتكريس ارهاق قادة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية وابتزاز المزيد بغية ابتزاز التنازلات من قبل الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية . وتحاول جبهة الكفور استغلال سقوط تل الزعتر والنبعة ، لتتحدث عن الاحتياطي العسكري الكبير الذي توفر لديها من اجل حسم معركة الجبل وبيروت ، وتقوم بالفعل بحشد اليتها المقدمة من اسرائيل واميركا وفرنسا وسائر البلدان الامبريالية ، وتصعيد نشاطها العسكري في مختلف المواقع والجبهات وهي تستمد اعتدادها بنفسها من مظلة الاحتلال السوري ودعمه العسكري والاقتصادي والسياسي غير المحدود لها !

ومقابل هذا الضغط الشديد والمتصاعد الذي تمارسه جبهة الكفور واهل النظام السوري على قادة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية يتصاعد الضغط الذي تمارسه الجماهير الشعبية على هذه القيادات في وقت تتفاقم فيه مشاكل الجماهير الحياتية المتعلقة بالحاجات الاساسية وخاصة المواد الغذائية والمحروقات وارتفاع اسعارها ، بسبب قلتها وتحكم المستغلين بها ، وفي ظل تفشي البطالة وتفاقم الفقر الذي بات ينشب براثنه في اعناق الجماهير الكادحة ، لدرجة اصبح معها الكادحون يعانون من الاختناق الذي يزيد من اشتداده تردي حالة الامن وتصاعد موجة الخطف والمصادرة على الهوية .. في الوقت نفسه يتضح اكثر فأكثر عجز الحركة الوطنية عن توفير متطلبات الحياة والمعركة الضرورية والاساسية يتكشف امام انظار الجماهير الشعبية عامة ومقاتليها على وجه الخصوص ، مدى الضرر الذي سببه ويسببه للمعسكر الوطني ، اتباع النهج الاصلاحي ، والذي تتحمل الجماهير الشعبية وزره الاكبر ، وتدفع ثمنه جهدا وعرقا ودما ، الامر الذي يجعل هذه القيادة بين حجري الرحى لا مناص لها غير رفع شعارات الجماهير والتحدث بها .

مصير البرنامج الاصلاحي

اننا اذ نعكس هذه الصورة الواقعية على صفحات الهدف ، فلكي نسهم بتبديد الستار الكثيف الذي يحاول البعض اسداله عليها ، ولكي نبدي رأينا ونحدد معرفتنا من جملة القضايا المطروحة المتعلقة بقرارات الحركة الوطنية ، وبما تفرضه طبيعة المعركة القائمة التي لم يعد معها مجال لاي اسلوب غير اسلوب مواصلة القتال.

ان الادانة لاسلوب التردد والمناورات والثرثرة عن مواصلة القتال والانغماس عمليا في المفاوضات وعقد اتفاقات وقف اطلاق النار تمثلت هذه المرة في صمود تل الزعتر وتصاعد المقاومة للمحتلين في البقاع وبعلبك ، لتؤكد فوائد التصدي البطولي الذي وقفته جماهير صيدا وبيروت والجبل بوجه الغزاة السوريين في وقت سابق .

ان الادانة هذه قد اظهرت ان السبب في حالة التراجع التي نعانيها يكمن بالنهج الاصلاحي الذي كان دعاته يصرون على عدم رفع شعار اسقاط النظام والاكتفاء بتحديثه ، منطلقين من نظرية خاطئة علميا وموضوعيا بقدرة البورجوازية على تطوير نظامها وجعله يلحق بركب الانظمة الرأسمالية المتطورة ، متجاهلين ان الفاشية حين تسود في اي نظام رأسمالي وتحكم سلوك الطبقات الحاكمة فيه فانها تلقي على عاتق القوى الطبقية التقدمية مسؤولية العمل على تغيير النظام عن طريق اسقاطه والاطاحة بالطبقات الرجعية العاجزة .

متطلبات الموقف الثوري

من هنا فانه من الضروري اتباع نهج ثوري وقطع الصلة نهائيا بالنهج الاصلاحي . ويتجسد هذا باتباع الخطوات السريعة التالية :

- التخلي التام عن النهج الاصلاحي ، وهذا الامر يتجسد نظريا بتجاوز « البرنامج المرحلي للاصلاح الديمقراطي » الذي ما تزال الحركة الوطنية تعتبره دليلها النظري في مواجهة ازمة النظام اللبناني . واعتماد وجهة النظر القائلة بأن الطبقات الرجعية البرجوازية والاقطاع السياسي، قد بلغت درجة من العجز لم تعد قادرة معها على التعامل مع ازمة نظامها من منطلق ديمقراطي ؛ لذلك فانها تلجأ الى اسلوب القمع والاضطهاد ؛ لاسكات صوت الجماهير المطالبة بالتغيير ، من هنا تتحتم مواجهة العنف الرجعي بعنف ثوري، وان ممارسة العنف الثوري تتطلب ربطه بهدف الاطاحة بالنظام وتحمل تبعات هذا الربط وما ينجم عنه من قتال طويل ومرير لكنه يؤدي حتما الى الانتصار .

ان شعار الحرب الطويلة ، لا يجوز ولا يصح ان يتخذ وسيلة من وسائل المناورات التي اعتادت السياسة اللبنانية على الضياع بمتاهاتها .

- لقد اعلنت الحركة الوطنية عن رفضها لاسلوب المفاوضات والمناورات وقررت التزام نهج الحرب الطويلة وسعيا منها للحفاظ على مواقع سلطتها الحالية ولكي تحرر المناطق الاخرى التي يسيطر عليها التحالف الفاشي .

ان اخذ موقف الحركة الوطنية الراهن مأخذ جد ، يقود منطقيا الى النتيجة التالية :

ان اعلان الحركة الوطنية عن عزمها هذا بعد ما يزيد على ستة عشر شهرا من القتال ، يفترض ان يكون تجسيدا لادراكها ، وبالتالي قناعتها بتجربتها الحسية القائلة ان استمرارها على اتباع سياستها السابقة في مواجهة المؤامرة قد يفلت زمام الامور من يدها ، وقد تؤدي الى تكبيدها خسائر وهزائم جديدة ، بالاضافة الى الهزائم التي تكبدتها حتى الان .

واذا كنا ننطلق من الحرص على تنفيذ هذه القرارات وتجسيدها على صعيد الواقع العملي في مسيرتنا النضالية ، فاننا نرى ان هناك بونا شاسعا بين ما تتطلبه معركة الصمود والتحدي والتحرير ، وبين ممارسة الحركة الوطنية وترجمتها لقراراتها ، حيث ترى ان الجبهة الداخلية ما زالت تتأكلها التناقضات الثانوية ، وان حملة الشائعات تزداد مستهدفة خطوط المواجهة دون التصدي لها . والقوى التقليدية ما زالت تحرك اجهزتها بحرية لاعاقة قيام الادارة المدنية ، وما زالت تتصدر سدة العمل الوطني ببعض المناطق الوطنية وان حبل الامن ما زال فالتا ، والتجارة بلقمة العيش ما زالت رائجة رغم تدفق كميات كبيرة من المواد الغذائية .

ان الترجمة العملية لقرارات الحركة الوطنية المتعلقة بعزمها على ادارة شؤون مناطقها لكي تستند في حربها الطويلة الى جبهة داخلية متينة والى مؤخرة اجتماعية واقتصادية سليمة ، تتطلب اتخاذ جملة اجراءات وخطوات يأتي في مقدمتها الاجراءات التالية :

الرد على الحصار

١ ـ مع الغزو السوري للمناطق الوطنية بدأت سياسة التجويع للجماهير الوطنية ، وبدأت معها سياسة اغلاق المنافذ التي تربط المناطق الوطنية من الداخل ببعضها وبالعالم الخارجي برا وبحرا وجوا . سياسة اشتركت في تنفيذها قوات الغزو السورية ، وقوات العدو الاسرائيلي والقوات الفاشية .

وكان الهدف من هذه السياسة هو تركيع الجماهير الشعبية التي رفضت الخضوع واستمرت تتصدى للمؤامرة .

ومع احكام سيطرة القوى الفاشية على مناطق « الفيتو » الماروني بعد « تطهيره » من الجيوب الوطنية ، اخذ الحصار السوري ـ الاسرائيلي يشتد قبضته المجرمة على المناطق الوطنية ليدعم الحصار الاقتصادي والعسكري وعرقلة دخول اللبنانيين الى سوريا سواء كانت هذه الاسباب امنية ، ام معيشية ، ومهما قيل عن اسباب الحصار الاسرائيلي بملاحقة السفن القادمة والمغادرة من والى ميناءي صيدا وصور وتفتيشها واحتجازها مع ركابها . اكان منعا لوصول امدادات السلاح والذخيرة الى التحالف الوطني الفلسطيني واللبناني ، ام غير ذلك . فان الحصار السوري ـ الاسرائيلي يستهدف بالاساس تكريس شرعية النظام اللبناني المنهار ، وتدعيم جبهة الكفور والتضييق على الحركة الوطنية . ويفرض هذا الحصار على الجماهير اللبنانية الوطنية وعلى الهيئات الديبلوماسية التعامل مع جبهة الكفور ووزير خارجيتها كميل شمعون ، لاخذ اجازات المرور عبر المصنع من مركز الامن العام في زحلة ، كبداية لبسط سلطتها على المناطق التي تسيطر عليها قوات الغزو السوري ومن ثم على كافة الاراضي اللبنانية ، تمهيدا لاعادة سيادة النظام الرجعي الفاشي على الارض اللبنانية .

النبعة : بانتظار خطوات الحركة الوطنية الحازمة

اننا مع موقف الحركة الوطنية الراهن بتبني سبيل الحرب الطويلة وقطع طريق المفاوضات . وبالتالي فأننا ضد الخضوع والركوع . لذلك نرى امكانية الاستفادة من اجراءات اهل النظام السوري بأن نعجل خطواتنا على طريق بناء اجهزتنا الادارية المحلية وتحسين موانئنا والسيطرة عليها وتعبئة جماهيرنا التي اصبح الطريق السوري مقفلا بوجهها لان الاجراء السوري هذا سوف يعطي لجماهيرنا صورة واضحة عن اهداف الغزو السوري من شأنها ان تزيد من اندفاع الجماهير الكادحة لمقاومة الفاشيين وحمايتهم السوريين العملاء .

٢ ـ الابتعاد عن سياسة التقارب او التحالف مع القوى الرجعية التقليدية، والاستعداد لمواجهتها حين تقف بشكل سافر لتعرقل مسيرة صمود جماهيرنا ، والعمل على عزلها عن سدة العمل الجماهيري وكشف دورها المشبوه ، وهنا تبرز تجربة النبعة باعتبارها احدث التجارب الغنية التي تحذر من دور القوى الرجعية وتنظيماتها وتدعو لمواجهتها بحزم وشدة لا هوادة فيها .

٣ ـ العمل على تمتين الجبهة الداخلية وازالة الخلافات الثانوية مع كل فريق وطني يبدي استعداده لخوض معركة الصمود ومحاربة القوى الفاشية والغزاة السوريين منعا لانزلاقه الى صف الاعداء ، وبهذا الصدد فأننا نشجع بادرة اللقاء الذي تمت بين الحركة الوطنية وجيش لبنان العربي .

علما ان تضييق الخناق على التناقضات الثانوية لا يجوز ان يتم على حساب ممارسة النقد وكشف الاخطاء بصورة عامة ، واخطاء القيادات على وجه الخصوص .

٤ ـ منع عملية النزوح المضاد والتخفيف من هجرة الشباب في المناطق الوطنية بعد تأمين مقومات صمودهم ، حيث يشكل هذا النزوح افراغا للمناطق الوطنية ، يساهم في اضعاف جبهاتها القتالية ، مما يسهل على الخصم عملية اقتحامها واستنزافها .

وقف النزوح

بيد ان منع النزوح لكي يتحقق فانه يتطلب جملة اجراءات تفرضها الحياة في المناطق الوطنية، اهمها ما يلي :

- المحافظة على الامن ، وعلى حياة وممتلكات الجماهير في مناطق سيطرتها ، بعد تطهيرها من القبضايات والمجرمين وعصابات السلب والنهب ونزع سلاح كل من يعمل على الاخلال بامن المواطنين واقلاق راحتهم ، لان بعض الايدي المجرمة وبرعاية الزعامات التقليدية ما زالت تعبث بحياة بعض المواطنين الابرياء وتمارس عمليات القتل على الهوية .
- تأمين المواد الغذائية والمواد الاستهلاكية الضرورية والمحروقات وتنظيم بيعها باسعار الكلفة ، بالاشراف على اسعارها وقطع ايدي المتاجرين بلقمة الجماهير ومحنتها .
- الاهتمام بمهجري النبعة ، والتل ، وتأمين المأوى لهم وتعبئة صفوفهم تعبئة عسكرية وسياسية تؤهلهم الاستمرار في معركة الصمود والقتال وعدم تركهم لقمة سائغة يتناولها الاقطاع الديني والسياسي وازلامهم ، خوفا من تفشي الردة والانهزامية التي ينادي بها الاسعد والصدر وازلام النظام السوري ، بين صفوفهم . هذا الى جانب الاهتمام بجماهير الشارع الوطني وتعبئتها وتحريضها للاستفادة من طاقاتها الى اقصى حد في معركة الصمود .

٥ ـ ان هذه المتطلبات الضرورية لن تتحقق ما لم نعمل باقصى حزم وسرعة على ايجاد الادارة المدنية في المناطق الوطنية ، وجعلها ادارة عصرية قادرة على ان تشكل المرتكز الاساسي لسلطة الحركة الوطنية ، والاستيلاء على مؤسسات الدولة المنهارة ، وتغيير اجهزتها ورموزها العفنة، وتحويلها الى ادارات جديدة قائمة على اساس خدمة الجماهير فقط ، بعد اجتثاث الفساد منها، وقطع دابر الرشوة من جذوره حيث لم يعد هناك مبرر لعدم انشاء سلطتها على مناطق سيطرتها بعد ان توزعت اراضي لبنان الباقية بين سلطة القوى الفاشية من جهة وسلطة الغزاة السوريين من جهة ثانية .

واذا كان انشاء الادارة المدنية في بيروت يتعثر بسبب معارضة القوى التقليدية الرجعية . فأنه لا يوجد اي مبرر لعدم تثبيتها في مناطق الشوف والجبل والجنوب حيث تلتزم جماهيرها الولاء للحركة الوطنية .

ان الحركة الوطنية ليست مطالبة بالتعجيل بانشاء الادارة المدنية فقط ، وانما هي مطالبة بأن تجعل منها صورة حية ملموسة لدى الجماهير الشعبية بشكل يجعلها تدرك الفرق الكبير بين مضمون السلطتين : الرجعية والوطنية ، لكي يزيد تعلقها بشعارات الحركة الوطنية ، واهدافها .

وهنا تلعب الاجراءات الاقتصادية مثل تأميم ممتلكات الاقطاعيين وكبار الرأسماليين الرجعيين دورا هاما .

على كل فصائل الحركة الوطنية ان ترمي بثقلها في هذا المجال وعلى المقاومة ان تلتقي معها في ذلك .

زينب